الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

من أعلام السريان

حنين بن اسحق ودوره في حركة التأليف والترجمة السريانية والعربية

فؤاد يوسف قزانجي
استاذ في التاريخ والمعلومات

هو أبو زيد ، حنين بن اسحق العبادي "١٩٤-٢٦٠هـ" والعبّاد قبائل من بطون العرب اجتمعوا على المسيحية بالحيرة ، وكانوا قد هاجروا مع قبائل عربية اخرى مثل بنو شيبان وايادٍ واسد اليها من اليمن وبعض اجزاء من الجزيرة العربية في القرن الثالث للميلاد خاصة بعد خراب سد مأرب وامسى العيش صعبا في بعض انحاء اليمن.

ولد حنين في الحيرة عام "٨١٠م" وكان والده صيدلانيا له حانوت لطب الأعشاب والنباتات، فنشأ حنين محبا لمهنة الطب تواقا لها. وكان انسانا مؤمنا بدينه مواظبا للذهاب الى الكنيسة حتى صار يخدم فيها كساعور، وينسب اليه عبديشوع الصوباي تأليف كتاب "مخافة الله" خلال فترة شبابه. ويبدو انه تعلم في شبابه كتابة السريانية وربما الفارسية اضافة الى اللغة العربية، ويذكر ابن أبي أصيبعة عن بداية شبابه قائلا: "ان اول ما حصل لحنين من الاجتهاد والعناية في صناعة الطب، سافر الى بغداد ملتحقا بمجلس الطبيب يوحنا بن ماسويه" الذي كان مشرفا على اطباء البلاط العباسي. وكان حنين إذ ذاك يلحّ في السؤال بمجلس ابن ماسويه، وهذا ما كان يصعب على يوحنا، وكان يباعده في قلبه، اذ ان حنين من اهل الحيرة الذين يشتهرون بالتجارة والصيرفة. فسأل حنين عن بعض ما كان يقرأ عليه من مسائل في الطب، فغضب أستاذه يوحنا وقال له: "ما لأهل الحيرة وتعلّم صناعة الطب!، صر الى فلان قرابتك حتى يهب اليك مالا تتعامل به في الصيرفة". ثم أمر به فأخرج من مجلسه، فخرج حنين حزينا مكسور الجناح. وعوّل بالاعتماد على نفسه في تعلم الطب. وغاب عن اهله سنتين سافر فيها الى بلاد الروم قضاها في إحكام تعلم اللغة اليونانية التي كانت مصدرا رئيسا لتعلم الطب، وتوصل هناك في تحصيل بعض كتب الحكمة والطب وقراءتها. وكان حنين قبل ان يلتحق ببيت الحكمة شعث الشعر وينشد شعرا باليونانية لعله لهوميروس، كما يقول ابن القفطي. ثم سافر الى بغداد وعمل مترجما في بيت الحكمة وذلك في نهاية عهد الخليفة هارون الرشيد تحت اشراف الحكيم جبرائيل بختيشوع. وقد ترجم الى جبرائيل أقساما قسمها بعض الروم من كتب جالينوس أشهر طبيب يوناني. وكان جبرائيل يخاطبه بكل احترام وتبجيل. وحدث ان اطّلع كبير الأطباء يوحنا بن ماسويه على ما ترجمه حنين من تلك الفصول من كتب جالينوس التي تسمى بالفاعلات، فأعجب بها وانبهر بحسن الترجمة والتعبير فسأل الطبيب قائلا: "أترى المسيح قد اوحى في دهرنا الى أحد؟!". فقيل ليوحنا ان هذه الترجمة الرائعة هي لحنين بن اسحق من اهل الحيرة الذي طردته من مجلسك وأمرته ان يصبح صرافا (١). وهكذا اعترف يوحنا انه لم يقدّر حق قدره. ولازم حنين يوحنا بن ماسويه الذي كان مشرفا على الترجمة في بيت الحكمة، وكان حنين انذاك أي في عام "٢٢٥هـ" شابا يبلغ الحادية والثلاثين من العمر تمكنه على قدر كبير من المعرفة. كان الخليفة عبد الله المأمون "١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م" محبا للثقافة ميالا الى الفلسفة والحكمة وكان بينه وبين امبراطور الروم مراسلات، فكتب الى امبرطور الروم يسأله في انتقاذ ما يختار من العلوم القديمة المحفوظة في خزائن الكتب في القسطنطينية من المؤلفات اليونانية. وقد ارسل الخليفة سلما الذي كان صاحب بيت الحكمة كما بعث معه الحجاج بن مطر ويحيى بن البطريق الى بلاد الروم. وبعد ان جلبت الكتب القديمة وغالبيتها في الطب والفلسفة وساهم حنين في ترجمة هذه المؤلفات الى العربية وإصلاح ما ينقله غيره من المترجمين.

نشاط حنين في مجال النقل والترجمة

كان من بين الذين أشرفوا على حركة الترجمة في بيت الحكمة بنو موسى بن شاكر وهم ثلاثة اخوة عرفوا بخبرتهم في علم الحساب والهيئة والآلات، وكانوا يعطون الى جماعة من النقلة ومنهم حنين بن اسحق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرّه وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة. وكانت الترجمة الحرفية سائدة بين النقلة قبل حنين، ولعل أشهر هؤلاء المترجمين الذين اتبعوا هذه الطريقة يوحنا بن البطريق وعبد المسيح بن ناعمه الحمصي وكانوا يترجمون عادة من اللغة اليونانية، ولكن عندما حلّ حنين في بيت الحكمة، استن طريقة في الترجمة اعتمدت على نقل المعنى الصحيح نقلا دقيقا محكما استنادا الى المعاني الشاملة لكل جملة ترد في النص ومن ربط المعنى الكلي للجمل بعضها مع البعض الآخر. وحسب هذا الأسلوب يتكون مضمون الكتاب او النص المترجم (٢).

وكان التراجمة السريان قد استنوا تقليدا في نقل علوم ومعارف اليونان الى اللغة السريانية في وقت مبكر ربما من القرن الخامس الميلادي لدعم مدرسة جنديشابور الطبية ومدرسة الرها التي كانت تهتم بالفلك وحركة النجوم. وقد بني أول بيمارستان "مستشفى" في الشرق قرب مدرسة الطب في جنديشابور في بداية القرن السابع للميلاد وكان من اوائل المشرفين على هذه البيمارستان احد اجداد جرجس بن جبرائيل بن بختيشوع وهي الأسرة التي انجبت اجيالا من الأطباء استفادت منهم بلاطات بني العباس وكذلك اكاديمية بيت الحكمة في بغداد.

كان حنين كما ذكرنا في ترجمته حريصا كل الحرص على اداء النص اليوناني اداءا صادقا، واعانه على ذلك انه لم يكن مترجما او ناقلا وحسب، بل كان طبيبا بارعا وذو ثقافة ومنطق ويعرف الفلسفة اضافة الى اجادته للغة العربية. وقد استحكم في الترجمة من خلال وجوده الطويل في بيت الحكمة، ولا نعتقد انه تسلّم رئاسة بيت الحكمة في زمن الخليفة المأمون، انما بقيت بعهدة أستاذه يوحنا بن ماسويه، لكن حنين كان هو المسؤول عن الترجمة في بيت الحكمة وحسب، واننا بذلك نختلف مع بعض الذين ذكروا توليه لرئاسة بيت الحكمة من بينهم الباحث ماهر عبد القادر(٣)، والباحث رشيد الجميلي (٤). وفي الحقيقة لقد جعل التراجمة السريان من لغتهم الواسعة التي تنقل منها علوم ومعارف اليونان الى اللغة العربية، وهذا ما طبقه حنين ومدرسته في الترجمة منذ توليه رئاسة الترجمة في اواخر عهد الخليفة المأمون. إذ نرى ان حنينا كان يترجم من اليونانية الى السريانية ليتولى ابنه اسحق أو ابن اخته حبيش وبقية تلامذته تتمة الترجمة الى العربية، ويعود حنين اخيرا يدقق في النص العربي النهائي ويحرره أي يصححه.

ويعلّل الباحث رشيد الجميلي في أطروحته المتميزة قائلا: "أنني ارى وراء ذلك رغبة حنين وجماعته في نشر لغتهم السريانية، حيث يضطر الشخص الذي يرغب بالإطلاع على علوم ومعارف اليونان الى ان يتكلم اللغة السريانية؛ ١، كي يسهل عليه قراءة هذه الترجمات على الرغم من معرفتنا بأن الكتب السريانية كانت تترجم بدورها الى اللغة العربية، ٢، العمل على إغناء التراث السرياني بعلوم ومعارف التراث اليوناني الأمر الذي يكسبه اهمية فوق اهميته الأصلية، ٣، رغبة حنين في اشراك الآخرين من المترجمين الأمر الذي تطلب التوسع في دائرة النقلة السريان" (٥).

كان حنين إضافة الى كفاءته في النقل شديد التمحيص والدقة في ترجماته، حيث كان يستعين بنصين او ثلاثة ويقومها ثم يكتبها حتى تبدو كالأصل عناية واهتماما، وهذه الأمانة في النقل جعلت الخليفة المأمون يجزل له العطاء. في الحقيقة ان حنين سلّم بالأخذ والعطاء بين اللغتين العربية والسريانية، وكان أسلوبه سهلا واضحا، وفي سبيل الوضوح لا يرى غضاضة في استعمال بعض التعابير العامية المتداولة وكذلك في تخيّر اللفظ الملائم والتعبير الدقيق الذي كان من مستلزمات التأليف والترجمة لا سيما اذا ما أراد انشاء مصطلحات سريانية أو عربية جديدة.

ألّف وترجم حنين في مجالات علمية متعددة أبرزها الطب المدني وطب العيون أو الكحالة والصيدلة أي امتحان الأدوية والعقاقير العشبية وكذلك الطبيعيات والدين والاخلاق التي ألف لها ثلاثة كتب بالاضافة الى ترجمته على الارجح التوراة حسب النقل السبعيني إلا ان هذه الترجمة لم تصل الينا (٦). وهكذا خلّف حنين في الترجمة مدرسة علمية او جيلا من المترجمين التاريخيين أفادوا الثقافة العربية سواء اولئك الذين عملوا معه في بيت الحكمة أو الذين تفرقوا ليستمروا في ترجمة ما تبقى من التراثين اليوناني والسرياني.

ان اولئك المترجمين على اختلاف اثنياتهم، كانوا يستخدمون طريقة المقابلة بين النسخ، وكانوا قد استفادوا كثيرا من ترجمات حنين التي زخرت بالمصطلحات العربية الجديدة في الطب (٧).

حنين والطب

خلّف حنين وراءه ثروة فكرية هائلة تمثلت في مؤلفاته في طب البدن وطب العيون والأدوية بالاضافة الى ما ترجمه من كتب جالينوس وابقراط وغيرهما في الطب، يساعده عدد من التلامذة في النقل والمعرفة الذين عملوا في بيت الحكمة وقد بلغ عددهم اكثر من عشرة مساعدين بينهم ابنه اسحق الذي كان طبيبا وعارفا بالفلسفة ويعد من افضل مترجمي الفلسفة وابنه الآخر داود الذي لا نعرف شيئا عن نشاطه، وابن اخته حبيش بن الحسن الاعسم واصله من سريان انطاكيا وعيسى بن يحيى بن ابراهيم ومنصور بن باناس واصطيفان "اصطفى" بسيل "باسيل" وموسى بن ابي خالد ويحيى بن هارون وابو عثمان بن علي وغيرهم. وقد ترجم حنين معظم كتب جالينوس التي وصلت بيت الحكمة، واورد الباحث ماهر عبد القادر "١١٢" كتابا مترجما لحنين منها "١٦" كتابا من تأليف جالينوس (٨).

بعض المؤرخين والباحثين أو الكتّاب وصفوا حنين بن اسحق بأنه ناقل او مترجم جيد وحسب، ولكن الحقيقة ان حنين يعد واحدا من أبرع الأطباء في تاريخ الطب السرياني- العربي، كما انه يعد عالما في الصيدلة فقد عرف الأدوية المركّبة والأدوية المفردة أي البسيطة التركيب والتي كان أصلها من النباتات والأعشاب أو من بعض أوراق الشجيرات أو قشور اللبان والزهر وغيرها. اما المركّبة فقد كانت خليطا نباتيا وحيوانيا، واحيانا يضاف اليها بعض المركبات الموجودة في الاحجار والطبيعة، لذلك استطاع حنين ان يعرّب بشكل جيد بعض التعابير اليونانية ويضيفها الى اللغة العربية في حقل الطب والأدوية المركبة في كتابه "المنهج المنير في معرفة اسماء العقاقير" وفي ايجاد مصطلحات للمعاجين والمراهم والمضمضة والترياق والأشربة و الدهان وغيرها. وقد ذكر ابن القفطي بأن حنين، "كان بارعا في اللسان العربي شاعرا خطيبا فصيحا لسنا"، وان لم يصلنا من شعره شيء.

ألّف حنين معجما في الطب يتضمن العبارات والمصطلحات الطبية الجديدة التي ابتدعها حنين. ويذكر ابن بهلول في مقدمة معجمه انه استعان بمجموعة من التفاسير السريانية لكنه لم يشرْ الى مصدرها، ويعتقد المؤرخون بأنها منقولة من معجم حنين. وكان حنين قد ألّف معجما آخر للمترادفات السريانية سمّاه "المترادفات" الذي ينسب خطأ الى جبرائيل بن بختيشوع. وقد قام زكريا المروزي في نهاية القرن التاسع للميلاد بتكملة معجم حنين حيث اضاف اليه زيادات عديدة.

ومن المؤسف ان معجم اللغة اليونانية والمعجم الآخر لحنين مفقودان، وقيل ان يشوع بن علي الطبيب احد تلامذة حنين قد اضاف الى معجم اللغة السريانية ايضا (٩).

الفترة الأخيرة في بيت الحكمة

خلّف المأمون الخليفة المعتصم "٢١٨-٢٢٧هـ" فكان منصرفا عن بيت الحكمة وحركة التأليف والترجمة، لأن المعتصم كان معنيا بالحرب والقتال أكثر من راعيا للعلم والمعرفة كما فعل المأمون او الرشيد، ولذلك لا نجد اخبارا تساعدنا على معرفة نشاط بيت الحكمة خلال خلافته. اما الخليفة الواثق "٢٢٨-٢٣٣هـ" فقد عني بترجمة العلوم النقلية اكثر منه بترجمة العلوم العقلية واعتمد بذلك على الطبيب يوحنا بن ماسويه في هذا المجال (١٠).

كان حنين باحثا يسعى الى طلب العلم طوال حياته حيث يقول انه في سبيل الحصول على كتاب "البرهان" لجالينوس الذي كان وجوده نادرا في زمانه "انني بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت في طلبه ارجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر الى ان وصلت الى الأسكندرية، ولكن لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه في مدينة دمشق" (١١).

وقد تجددت حركة التأليف والترجمة وتوسع النقل عن التراث القديم، ما احدث ازدهارا ثقافيا في العصر العباسي الثاني، لكن هذه الفترة "بداية القرن الرابع الهجري" كانت اقل نشاطا في حركة الترجمة. إلا انه يمكن القول ان الاهتمام بالعلوم النقلية قد استمر. وعن هذه الفترة يذكر ابن جلجل ان حنينا اختير للإشراف على الترجمة في عهد المتوكل، فهيأ حنين كتابا عارفين في الترجمة، فكانوا يترجمون له وهو يصحح ما ترجموه.

المصادر

(١) ابن ابي أصيبعة، موفق الدين "٦٠٠-٦٦٨هـ" عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة "ص٢٦١".
(٢) الجميلي، رشيد حميد. حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة. طرابلس: الكتاب للتوزيع والطبع، ط١/ ١٨٢ "أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي، جامعة القاهرة، ١٩٦٠" ص,٣٦
(٣) ماهر عبد القادر محمد. حنين بن اسحق: العصر الذهبي للترجمة. بيروت دار اليقظة العربية، ١٩٨٨، ١٧٤ ص "٤٨".
(٤) الجميلي، رشيد. حركة الترجمة في المشرق الاسلامي.. المصدر السابق "ص٢٣٦".
(٥) الجميلي، رشيد. حركة الترجمة في المشرق الاسلامي.. المصدر السابق "ص٣٩".
(٦) أبونا، "الأب" البير "حنين بن اسحق" في كتاب، أدب اللغة الآرامية. بيروت: دار المشرق، ط٢/ ١٩٩٦ "الصفحات ٣١٨-٣٢٠".
(٧) ماهر عبد القادر. حنين بن اسحق. المصدر السابق "ص١٥٨".
(٨) التكريتي، سليم طه "التعريب في الاسلام" سومر/ بغداد/ بغداد: مديرية الآثار العامة ج١-٢ مجلد٣٢/ ١٩٧٦ "ص٣٧١".
(٩) دوفال، روبنس. تاريخ الأدب السرياني ترجمة لويس قصاب. بغداد: مطرانية السريان الكاثوليك، ١٩٩٢ "ص٣١٧-٣١٨".
(١٠) ابن القفطي، جمال الدين ابي الحسن "ت ٦٤٦هـ" تاريخ الحكماء وهو مختصر ابن الزوزني المسمى في المنتخبات من كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء. بغداد: مكتبة المثنى، د.ت "ص٦٨".
(١١) الجميلي، رشيد. حركة الترجمة.. المصدر السابق "ص٩٢".

اصلاح التقويم اليولياني ومراحل التحول نحو التقويم الغريغوري

علاء خالد غزالة
كاتب

يعتبر التقويم الغريغوري اكثر التقاويم استعمالا في العالم اليوم. وهو عبارة عن اصلاح للتقويم القديم الذي وضعه يوليوس قيصر. وكان اول من اقترحه الطبيب والفيلسوف والفلكي والمؤرخ الويسيوس ليليوس من كالابريا في جنوب ايطاليا، ثم اصدر البابا غريغوري الثامن امرا بابويا بتطبيقه في ٢٤ شباط ,١٥٨٢

يحتوي التقويم الغريغوري على نفس نظام ترقيم الاشهر والسنوات لسلفه التقويم اليولياني، وبالمثل فانه يعتمد في حساب السنين على مولد المسيح. وبسبب ان السنة اليولیانية اطول قليلا من الواقع، فان موعد الانقلاب الربيعي خصوصا كان يتأخر مع مرور السنين مسببا تأخير موعد الاحتفال بعيد الفصح لدى المسيحيين. وقد اصلح التقويم الغريغوري هذا الخطأ باسقاط ١٠ ايام من التقويم السابق حتى يتواءم مع التوقيت الحقيقي للفصول، كما تم اعتماد القاعدة التالية في حساب السنوات الكبيسة: تكون السنوات التي تقبل القسمة على ٤ سنوات كبيسة ما عدا التي تقبل القسمة على ١٠٠ تكون سنوات عادية، غير ان السنوات التي تقبل القسمة على ٤٠٠ تبقى كبيسة. وعلى هذا فان السنوات ١٧٠٠، ١٨٠٠، ١٩٠٠ لم تكن كبيسة بينما كانت سنة ٢٠٠٠ كبيسة. والتغيير هنا هو انه حسب التقويم اليولياني فان كل سنة تقبل القسمة على ٤ هي سنة كبيسة من دون استثناء.

يعتمد النظام الغريغوري على احتساب كل ١٤٦ يوماً مساويا لمدة ٤٠٠ سنة (وهو ايضا مساوٍ لفترة ٢٠,٨٧١ اسبوع بالتمام)، وهذا يعني انه يجب اعتماد ٣٠٣ سنوات اعتيادية (ذات ٣٦٥ يوما) مقابل ٩٧ سنة كبيسة (ذات ٣٦٦ يوما) في كل ٤٠٠ سنة. ومن المعلوم انه في السنة الكبيسة يتم اضافة يوم واحد الى شهر شباط ليكون ٢٩ يوما بينما يكون طوله ٢٨ يوما في السنوات الاعتيادية.

الدافع لاصلاح التقويم

يعود السبب في اجراء الاصلاح الى رغبة الكنيسة الكاثوليكية الى الاحتفال بعيد الفِصح (او عيد القيامة) في نفس الوقت الذي اقرّه المجمع الكنسي الاول، والذي عقد في نكايا التركية برعاية الامبراطور قسطنطين الاول عام ٣٢٥ للميلاد. وكانت الكنيسة في الاسكندرية تحتفل بعيد الفصح في اول يوم أحد بعد اليوم الرابع عشر للقمر على ان يكون بعد الانقلاب الربيعي الذي اعتبروه موافقا لـ ٢١ آذار. اما كنيسة روما فقد كانت تعتبر ٢٥ آذار هو يوم الانقلاب الربيعي حتى عام ٣٤٢, وحسب كنيسة الاسكندرية فان عيد الفصح قد يقع بين ٢٢ آذار و٢٥ نيسان. لكن كنيسة روما منعت الاحتفال بعيد الفصح بعد ٢١ نيسان لانه يوم الاحتفال بعيد تأسيس روما وعيد الرعاة وهي مهرجانات وثنية. وعلى هذا يكون عيد الفصح لدى كنيسة روما بين ٢٠ آذار و١٩ نيسان. وعلى الرغم من الاختلاف بين الكنيستين، فقد كانت هناك دائما طرق لتوحيد يوم الاحتفال. وبحلول القرن العاشر الميلادي فان جميع الكنائس اعتمدت طريقة الاسكندرية في الاحتفال بالعيد باستثناء المناطق الشرقية في الامبراطورية البيزنطية.

اضافة الى ذلك فان احتساب الشهر القمري كان مثبتا حسب التقويم اليولياني بدورة من ١٩ سنة. اي ان كل ١٩ سنة شمسية تعادل ٢٣٥ شهرا قمريا، بهامش خطأ يبلغ ساعتين عن الطول الحقيقي، او يوم واحد كل ٣١٠ سنوات. وهكذا، فقد بلغ الفرق بحلول القرن السادس عشر اربعة ايام كاملة.

نتيجة لذلك قرر المجمع الكنسي المنعقد في ترنت عام ١٥٦٣ تصحيح الخطأ في التقويم لاعادة يوم الانقلاب الربيعي الى ما كان عليه حين انعقد المجمع الكنسي الاول عام ,٣٢٥ وتوجب اجراء التصحيح على مرحلتين، الاولى ايجاد الطول الحقيقي للسنة الشمسية، وقد تم تحديد القيمة بـ ٣٦٥,٢٤٢٥ يوما (وهي اكثر قليلا من القيمة الحقيقية البالغة ٣٦٥,٢٤٢١٩ يوما، الامر الذي دعى العالم البريطاني السير جون هيرشل في القرن التاسع عشر الى اقتراح ان يتم اسقاط سنة كبيسة اخرى كل ٤٠٠٠ سنة لتعويض الفرق —اي ان يكون العام ٤٠٠٠ سنة اعتيادية رغم انها تقبل القسمة على ٤٠٠).

اما المرحلة الثانية فقد تمثلت بانشاء نظام تقويم جديد بسيط نسبيا. وقد اقترح العالم ليليوس اسقاط عشرة ايام من التقويم واحتساب ٩٧ سنة كبيسة كل ٤٠٠ سنة (بدلا من ١٠٠ سنة كبيسة حسب التقويم القديم، كما تقدم آنفا). كما تم تعديل دورة الـ١٩ سنة الشمسية المقابلة للاشهر القمرية باضافة يوم واحد كل ٣٠٠ او ٤٠٠ سنة (ثماني مرات في مدة ٢٥٠٠ عام) الى جانب التصحيحات التي ستجري على الاعوام ١٧٠٠، ١٨٠٠، ١٩٠٠، ٢١٠٠، الخ، وهي التي اعتبرت سنوات غير كبيسة. وقد اقترح ليليوس ان يتم اعتبار جميع السنوات العشر الكبيسة التالية (في مدة اربعين عاما) سنوات اعتيادية لغرض تطبيق التصحيح، غير ان البابا غريغوري اراد ان يكون التصحيح دفعة واحدة وليس بالتدريج. وهكذا، فقد تم اصدار امر بابوي باعتبار يوم الجمعة ٥ تشرين الاول ١٥٨٢ حسب التقويم اليولياني القديم هو يوم ١٥ تشرين الاول ١٥٨٢ حسب التقويم الجديد.

مراحل تطبيق التقويم الغريغوري

برغم ان اصلاحات غريغوري للتقويم قد اتخذت شكل امر باويوي الا ان تنفيذها كان بحاجة الى اوامر من السلطات المدنية في كل بلد ليصبح لها تأثير قانوني. وهي وان اصبحت قانونا في الكنيسة الكاثوليكية، لم تعرها الكنائس البروتستانتية او الكنائس الارثوذكسية او الكنائس الاخرى اهتماما يذكر. نتج عن ذلك ان الاحتفال بعيد الفصح كان يجري في ايام مختلفة باختلاف الكنائس المسيحية.

في البدء تم تطبيق التقويم الغريغوري في اربعة بلدان كاثوليكية هي اسبانيا والبرتغال واتحاد بولندا —ليتوانيا بالاضافة الى ايطاليا. تبع ذلك مستعمرات كل من اسبانيا والبرتغال بسبب بطئ حركة المواصلات عندذاك. ثم تحولت فرنسا الى التقويم الجديد باعتبار يوم الاثنين ٢٠ كانون الاول ١٥٨٢ لاحقا ليوم الاحد ٩ كانون الاول ,١٥٨٢ كما تحولت ولايتين فقط من ولايات الاراضي المنخفضة السبعة هما هولندا وزيلندا الى التقويم الغريغوري في كانون الاول من ذلك العام برغم انها اقطارا بروتستانتية.

بيد ان معظم البلدان غير الكاثوليكية عارضت مبدئيا تطبيق فكرة ذات مصدر كاثوليكي، خصوصا في فترة (الاصلاحات المقابلة) التي كان البابا غريغوري من اشد المتحمسين لها. وقد خشي بعض البروتستانتيين ان يكون التقويم الجديد مجرد وسيلة لاعادتهم الى حضيرة الكنيسة الكاثوليكية. كما عارضت التشيك تطبيق التقويم الجديد لكونه مفروض من قبل عائلة هابسبورغ المالكة. كذلك الحال في ايرلندا الكاثوليكية التي كان نبلاؤها يخوضون حرب الاعوام التسعة ضد الحكومة الايرلندية المعينة من قبل الملكة اليزابيث، ملكة بريطانيا البروتستانتية. وقد طلبوا اذنا خاصا من البابا بتعليق تطبيق التقويم الجديد حتى لا يظهروا بمظهر العاصي في عين البابا.

وفي مطلع عام ١٧٠٠ اعتمدت كل من الدنمارك والنرويج والولايات الالمانية البروتستانتية التقويم الجديد، لكنهم لم يأخذوا باصلاحات الاشهر القمرية. ولغرض المحافظة على تحديد عيد الفصح فانهم قرروا ان يعتمدوا على جداول العالم الفلكي كبلر التي اصدرها عام ,١٦٢٧ غير انهم عادوا وتبنوا الجزء المتعلق بالاشهر القمرية من الاصلاحات عام ,١٧٧٦ كما اعتمدت الولايات المتبقية من جمهورية الاراضي المنخفضة التقويم الجديد عام ,١٧٠٠ اما السويد فقد اتخذت طريقة ثانية في تطبيق التقويم عام ,١٧٠٠ حيث قررت اغفال السنوات الكبيسة جميعا بين عامي ١٧٠٠ و١٧٤٠ (لان الفرق اصبح ١١ يوما عندئذ). نتج عن ذلك ان التقويم السويدي اصبح غير متوافق مع كل من التقويم اليوليانى والتقويم الغريغوري على مدى ٤٠ عاما، مسببا الكثير من الفوضى في تأريخ الاحداث خلال هذه السنوات. ومما زاد الطين بلة ان النظام طبق بشكل سيء حيث لم يتم اغفال السنوات الكبيسة بين عامي ١٧٠٤ و١٧٠٨, وعليه فقد قرر الملك جارلس الثاني عشر التخلي عن التطبيق التدريجي للتقويم، لكنه اعاد العمل بالتقويم اليولياني بدلا من التقدم باتجاه التقويم الغريغوري. ولغرض التوافق مع التقويم القديم فقد تقرر ان يكون شباط من عام ١٧١٢ ذا ٣٠ يوما لاضافة اليومين التي الغيت سابقا. غير ان السويد طبقت النظام الغريغوري اخيرا عام ١٧٥٣، ولحقت بها في كل ذلك فنلندا حيث انها كانت تحت الحكم السويدي.

اما بريطانيا والامبراطورية البريطانية (بضمنها المستعمرات الغربية التي اصبحت الولايات المتحدة الامريكية) فقد تبنت التقويم الجديد عام ١٧٥٢ بالغاء ١١ يوما من تقويمها، ليكون يوم الخميس ١٤ ايلول ١٧٥٢ لاحقا ليوم الابعاء ٢ ايلول. وتم تطبيق التغيير في الاسكا عام ١٨٦٧ بعد ان اشترت الولايات المتحدة هذه المقاطعة من روسيا. وفي روسيا ذاتها تأخر تطبيق التقويم الغريغوري حتى عام ١٩١٨، بعد عام واحد من ثورة اكتوبر. وكانت اليونان اخر بلدان اوربا الشرقية الارثوذكسية في تطبيق التقويم الجديد في عام ,١٩٢٣ وفي اسيا، كانت اليابان اول من طبقه عام ١٨٧٣، تلتها كوريا عام ١٨٩٦، ثم الصين عام ١٩١٢، لكن امراء الحرب المختلفين فيها اتخذوا تقاويم مختلفة. وبعد توحيد الصين تحت قيادة الحزب الوطني الصيني فقد اتخذت الحكومة قرارها بوضع التقويم الغريغوري موضع التنفيذ اعتبارا من الاول من كانون الثاني ,١٩٢٩

عيد الميلاد بين الكنائس الغربية والشرقية

وبالرغم من توالي تطبيق التقويم الغريغوري في البلدان المختلفة، رفضت الكنائس الارثوذكسية الاعتراف به. بدلا من ذلك قررت ان تعتمد تقويما يوليانيا معدلا، باسقاط ١٣ يوم من عام ,١٩٢٣ ثم وضعت طريقة ثانية لاحتساب السنوات الكبيسة من شأنها ان تبقى متوافقة مع التقويم الغريغوري حتى عام ,٢٨٠٠ وقد اختارت البطريركيات في القسطنطينية والاسكندرية وانطاكيا واليونان وقبرص ورومانيا وبولندا وبلغاريا ان تتحول الى التقويم المعدل بينما رفضته بطريركيات القدس وروسيا وصربيا وجورجيا.

وهكذا فان هذه الكنائس تحتفل بيوم مولد المسيح الموافق ٢٥ كانون الاول حسب التقويم اليوليانى وهو ما يقابل ٧ كانون الثاني في التقويم الغريغوري. بينما استمرت جميع الكنائس الشرقية الارثوذكسية الاخرى (القبطية، والاثيوبية، والاريتيرية، والسريانية، والارمنية) بالاضافة الى الكنيسة الاشورية في الاحتفال بمناسباتها في مواقيت ثابتة حسب التقويم اليولياني. هناك استثناء واحد بين الكنائس الشرقية الارثوذكسية وهي الكنيسة الفنلندية، حيث اعتمدت التقويم الغريغوري رسميا، مما جعلها عرضة للانتقاد بين باقي الكنائس الشرقية.

تبعة تغيير التقويم في العراق والبلدان العربية والاسلامية

تحولت تركيا الى التقويم الغريغوري عام ١٩٢٥، بعد ان كانت تعتمد التقويم الهجري القمري، ضمن سياسيات مصطفى كمال اتاتورك العلمانية. اما باقي البلدان العربية والاسلامية فقد احتفظت بتقويمها الهجري الى ان تغيرت انظمتها السياسية في اواسط ونهايات القرن العشرين، حيث تم اعتماد التقويم الغريغوري بشكل آلي. ومن هنا نشأ المصطلح المعروف بـ(كانون العرب، او شباط العرب، او آب العرب، الخ) في العراق.

فقد كان التقويم الميلادي ثانويا في العراق اثناء الاحتلال العثماني شأنه في ذلك شأن باقي الدول الاسلامية، ومنها تركيا. ولكن التقويم الميلادي مفيد من ناحية ضبط مواقيت الزراعة والحصاد، بالاضافة الى توقعات الفصول والانواء الجوية، اذ ان التقويم الهجري يعتمد على الاشهر القمرية في الاساس وهي لا تتوافق مع حركة الارض حول الشمس، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها في مثل هذه الامور.

وقد اكتسب الشعب العراقي خبرة في تحديد مواعيد التغيرات بدقة متناهية، بل واعطى تسميات معينة لهذه التغيرات مثل (جويريد، المربعانية، برد العجوز، غرور المعيدي، وغيرها) بالاضافة الى تقسيم شهر آب المذهل الى ثلاثة اقسام (العشرة الاولى: حار جدا، والعشرة الثانية: حار صباحا معتدل مساءا، والعشرة الثالثة: تفتح للشتاء بابا). هذه المواسم عينت على مدى قرون حسب التقويم اليولياني الذي كان ثانويا في الدولة العثمانية ومستعمراتها. ومع قدوم الاستعمار البريطاني وتحول التقويم الثانوي الى الغريغوري، نشأ اختلاف في التوقيتات مقداره ١٣ يوم، هي مقدار تأخر التقويم اليولياني عن الغريغوري. لذلك حين تسأل كيف يكون الطقس حارا رغم اننا في شهر ايلول، غالبا ما يقال لك ان ايلول العرب لم يأت بعد، وانه يأتي متأخرا عشرة او احد عشر يوما عن ايلول الغرب. كما ان الكنائس في العراق، وهي التي كانت تضبط السنة الميلادية، لم تتحول الى التقويم الغريغوري كما مر آنفا، ولذلك لم يلتفت العراقيون الى حدوث مثل هذا التغيير الا بعد الاحتلال البريطاني. ومن الممكن انهم لم يسعوا الى تغيير التوقيتات تبعا للتقويم الجديد كجزء من عملية المقاومة للاحتلال.